جُمْهُوْرِيَّة الْعِرَاقِ ديوانُ الوقفِ الشِيعّي

مَجَلَّةٌ فَصْلِيَّةٌ مُحَكَّمَةٌ

تُعْنى بِالتُراث الكَربَلائي

مُجَازَةٌ مِنْ وزَارَةِ التَّعْلِيْمِ الْعَالِي وَالْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ

مُعْتَمَدَةٌ لِأَغْرَاضِ التَّرْقِيَةِ الْعِلْمِيَّةِ

تصدر عن:

العتبة العباسيّة المقدّسة

قسم شؤون المعارف الإسلاميّة والإنسانيّة

مركز تراث كربلاء

السنة السادسة/ المجلّد السادس/ العدد الثاني(٢٠)

شهر رمضان المبارك ١٤٤٠هـ / حزيران ٢٠١٩م

الفكر الإصلاحي للسيد هبة الدين الشهرستاني

The Reforming Thought of Hibt ul Din Al Sherhstani

م. مازن خضير عباس الغزي

كلية الإمام الكاظم عليه السلام للعلوم الإسلامية الجامعة / أقسام ذي قار

Lect. Mazin Khudair Abbas Al Ghizi

Imam Kadhum (p.b.u.h.) University College for the Islamic Sciences

الملخص

كان السيد هبة الدين الشهرستاني مفكرًا وباحثًا ومفسرًا ومجاهدًا، وله دور مشرف في الدفاع عن مبادئ الدين الإسلامي وهذا واضح من خلال نشاطه الفكري المتمثل بإصدار العديد من الكتب التي توضح حقيقة الإسلام الأصيل ومنها كتاب(الهيئة والإسلام) والذي يبين فيه التوافق والترابط بين الدين الإسلامي والقضايا العلمية الصرفة، واصداره(مجلة العلم) وهي أول مجلة عراقية عربية صدرت في النجف الأشرف عام ١٩١٠ وكانت الغاية منها خدمة العلم والدين، فضلًا عن تأسيسه العديد من الجمعيات لنشر الدين الإسلامي منها(جمعية خدمة الإسلام) في الأعظمية، و(الجامعة الإسلامية) في ميسان و(جمعية الإصلاح) في البحرين وجمعيات أخرى كثيرة.

اهتم الشهرستاني بحقوق المرأة وأكد دورها في الإسلام وبين ما لها من أثر فعال في خلق مجتمع صالح وشدد على حق المرأة في التعليم ومساواتها الرجل في هذا الجانب.

اكد الشهرستاني مسألة الجهاد ضد الاحتلال البريطاني للعراق عام ١٩١٤م، فكان بحق عالما ومجددا ومدافعا عن الإسلام وإرجاعه الى أصالته التي جاء بها الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

الكلمات المفتاحية: الإصلاح، هبة الدين، الشهرستاني

Abstract

Seyed Hibt ul Din Al Sherhstani was a thinker, researcher, interpreter, and a fighter. He had an honorable role in defending Islamic religion principles through his intellectual activity represented by issuing many books that clarifies original Islamic truth. One of these books (Al Hai'ih we Al Islam) where he stated the concord and connection between religion of Islam and the pure scientific cases. He also published (science of journal) which was the first Iraqi Arabic journal in holy Najaf in 1910 with an aim to serve religion and science. Moreover, he established many associations to spread religion of Islam, such as (Islam service association)in Al Adhemeyah, (Islamic university) in Misan, (reform association) in Bahrain, and many others.

Al Sherhstani took care with woman rights where he assured her role in Islam. He stated her influential impact in creating a good society and he emphasized woman right in teaching and her equity with the man in this respect. Al Sherhstani assured fighting (jihad) against the British occupation to Iraq in 1914 AD.; then, he was really a scientist, innovator, and a defender to Islam to return to its originality the way that the prophet (p.b.u.h.) spread it.

المقدمة

تُعد دراسة الشخصيات العراقية الإسلامية من الدراسات المهمة جدًا، ذلك لما لها من أثر فعال ودور مهم في تاريخ العراق لأنها توضح كثيرًا من التفاصيل والأدوار والمراحل التاريخية التي مر بها العراق وما رافق ذلك من تحولات سياسية وفكرية واجتماعية واقتصادية وما نشأ عنها من حركات فكرية هدامة أو إصلاحية تعبر عن طبيعة التحولات الواقعة في حقبة من الزمن تعد الأبرز لما فيها من صراعات داخلية وخارجية تمثلت بالاحتلال البريطاني للعراق من جهة وبروز الحداثة المزعومة على المستوى الفكري من جهة أخرى مما أدى إلى انتشار الأفكار المنحرفة بشكل كبير بين أبناء المجتمع قابله نهوض مجموعة من المصلحين أخذوا على عاتقهم الدفاع عن تراث الأمة وحضارتها، لذا تصدى هذا البحث لدراسة «**الفكر الاصلاحي للسيد هبة الدين الشهرستاني**» بوصفه مفكرًا وباحثًا ومجاهدًا، ولا يخفى على المختصين أهمية دراسة هكذا موضوعات تركت أثرها الواضح على نطاق واسع.

قسم البحث على ثلاثة مباحث تناول المبحث الأول **هبة الدين قراءة في سيرته ونشأته**، أما المبحث الثاني فاختص بدراسة **الإصلاح عند السيد هبة الدين الشهرستاني**، في حين جاء المبحث الثالث بعنوان **شذرات من مواقف السيد هبة الدين الإصلاحية**.

اعتمد البحث على مجموعة كبيرة من المصادر المتنوعة منها الكتب والبحوث الأكاديمية المنشورة في المجلات.

المبحث الاول

هبة الدين قراءة في سيرته ونشأته

هو السيد محمد علي هبة الدين بن الحسين بن محسن بن مرتضى الحسيني، وينتهي نسبه إلى زيد الشهيد ابن الإمام علي زين العابدين السجاد عليه السلام بن الإمام الحسين عليه السلام، ولقبه الحسيني نسبة إليه، وعرف بالشهرستاني نسبة إلى أخواله علمًا أنّهم كانوا من السادة الموسوية[١].

ولد في مدينة سامراء في ٢٠ / آيار / ١٨٨٤م، ونشأ في عائلة علمائية معروفة آنذاك بـ(آل الأمير السيد علي الكبير)[٢] فأسهمت هذه العائلة بما تمتاز به من مكانة علمية وأخلاقية مرموقة في صقل شخصيته علميًا وأدبيًا.

بدأ مسيرته العلمية منذ نعومة أظفاره ففي سنته الخامسة بدأ بتعلم القراءة والكتابة، وفي سن الثامنة بدأ بتعلم الفقه وأصوله وعلوم الشريعة، واستمر في تحصيل العلوم بجدٍ واجتهاد ثم انتقل من سامراء إلى كربلاء مع والده طلبًا للعلم والمعرفة، وبقي فيها حتى وفاة والده عام ١٩٠١م، ثم انتقل إلى النجف الأشرف م وبقي فيها خمسة عشر عاماً، ومن أبرز مشايخه الذين تتلمذ على أيديهم الشيخ عباس الأخفش والسيد محمد كاظم اليزدي والشيخ فتح الله المعروف بشيخ الشريعة[٣].

وقد استحصل خلال مسيرته العلمية على عدد من الإجازات سواء في نقل الرواية أم في استنباط الأحكام الشرعية، فقد أجازه السيد محمد المجتهد الكاشاني والسيد محمد بن محمد باقر الحسيني الفيروز ابادي والسيد مولوي الهندي والسيد

محمد مهدي الحكيم الحسيني الحائري والسيد مصطفى الحسيني الحجة الكاشاني والسيد حسن الصدر والسيد اسماعيل الصدر والميرزا حسين النوري[٤].

وكان له مجموعة من الطلبة المعروفين في مجال العلم و الدين وممن برز منهم الشيخ جعفر النقدي والشيخ محمد رضا الشبيبي، وقد منح بعض طلبته إجازة الرواية أمثال السيد شهاب الدين أبي المعالي المرعشي النجفي والسيد حسن البروجردي[٥].

أما مؤلفاته فهية كثيرة ومتنوعة باختلاف العلوم التي كانت تدرس آنذاك ومنها ما طبع ومنها بقي مخطوطًا، بل إن بعضها ترجم إلى لغات متعددة كالإنكليزية والفارسية والهندية والتركية[٦]، وما ذلك إلا لقوة قلمه وسعة علمه فقد كانت مؤلفاته تتميّز بالإحاطة بكل جوانب المعلومة التي يناقشها المؤلف في كتابه، حتى قال عنه الأب أنستانس ماري الكرملي «**السيد هبة الدين الشهرستاني من علماء الدين المشهورين، وهو إذا كتب في موضوع ألبسه حلته العصرية وشهاه للعامة والخاصة، وهو لا يطرق إلا المواضيع التي لا يعالجها غيره، فهو صاحب المبتكرات في كل ما يدون ويكتب...**»[٧].

وقال الشيخ آغا برزك الطهراني زميله في حلقة الدراسة والبحث واصفا إياه: «وقد تميز منذ شبابه بيقظة ووعي وطموح وهمة ونزعة اصلاحية وقد كان مخلصا لدينه وقومه في كل ما قال وفعل، نقي السريرة، يقدس الايمان الصادق، والعقل النير، ويذود عنهما بلسانه وقلمه فقد عرفته يومذاك وزاملته في حلقات دروس مشايخنا فرأيت الاخلاص والغيرة على الدين والاسلام والعلم وأهله دافعه الاول والاخير»[٨].

وصـل عدد مؤلفاته الى ما يقارب مائـة وأربعة وثلاثين مؤلفًا في علوم مختلفة و أبواب متعددة صنفها البهادلي بالتفصيل، ففي باب التفسير وعلوم القرآن ألف كتابه المحيط في تفسـير القرآن الكريم في عشر مجلـدات بالإضافة إلى مجموعة من المؤلفـات الأخرى، أما في الفلسـفة وعلـم الكلام فقد ألف مجموعـة من الكتب المميـزة كان أبرزها كتابه المعـارف العالية في بيان قواعد الديـن وجوهره والغاية منـه، وفي الفقه وأصوله فكان له مجموعة كتـب فقهية منها كتاب وقاية المحصول في شرح كفايـة الأصـول، أما في علـم الحديث فقد ألف كتابًا أسـماه ثقات الرواة وكتابين آخرين، كما كان له باع في التراجم وعلم الرجال فقد كتب كتبًا عدة أبرزها التذكرة في إحياء مجد عترة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وفي باب التاريخ له كتاب نهضة الحسين عليه السلام وهـو من الكتب القيمـة، وفي الجغرافيـة والهيئة ألف كتابه الهيئة والإسـلام وهو أشـهر مؤلفاتـه التي اقترنت ترجمته بهـا، كما كان له حضور مميـز في ميدان الأدب والشـعر واللغة من خلال كتابه رواشـح الفيوض في علم العروض بالإضافة إلى مجموعة من المؤلفات الأدبية، و في مجال الأخلاق ألف كتاب الإيمان و كتاب جنة المـأوى و مجموعة أخرى، كما كان له كتب في مجالات فكرية مختلفة جمعت في باب المجموعـات المتفرقة[٩]، وكان لكتبه قيمـة معرفية عالية حتى إن بعضها قد ترجم إلى لغات متعددة[١٠].

المبحث الثاني

الإصلاح عند السيد هبة الدين الشهرستاني

عاصر السيد هبة الدين مرحلة حرجة من مراحل تاريخ الأمة الإسلامية كانت مليئة بالتحولات السياسية والعسكرية والاجتماعية والاقتصادية التي زامنت ضعف الدولة العثمانية وبداية التدخل البريطاني[١١]، ونشوب الحرب العالمية الأولى(١٩١٤-١٩١٨) مما أثر سلبًا على المنطقة العربية عمومًا والعراق خصوصًا حتى انتهت هذه التحولات باحتلال بريطانيا للعراق وما تبع ذلك من تسلط وبسط اليد على مقدرات البلد[١٢].

وفي ضوء ذلك صار لزامًا على ثلة من المؤمنين أن يقفوا لنصرة الدين والدفاع عن مبادئه من جهة ومن جهة أخرى الدفاع عن الأمة وإرجاعها إلى واقعها الأصيل وهو التدين والحفاظ على مبادئها المعروفة بالحشمة والعفاف.

كان الشهرستاني من بين الشخصيات المهمة والبارزة التي نهضت للدفاع عن الإسلام ومبادئه وبأسلوب عصري يتناسب وحجم الهجمة الشرسة التي شنها الغرب وبأيدٍ عربية فعمد إلى تأليف مجموعة من الكتب التي توضح حقيقة الإسلام الأصيل، وكتب مقالات متعددة، وأخذ ينشر علومه بين الناس وبأسلوب عقلي متميز، بين من خلالها تفاهة الأفكار الإلحادية والعلمانية من جهة، ومن جهة أخرى بين قوة الفكر الإسلامي ومصادره التي يستند إليها وحقيقة ارتباطها بالله تبارك وتعالى، وذلك من خلال ما يحمله الإسلام والقرآن من حقائق علمية لم تكتشف إلا حديثًا فكان دفاعه بهذه الطريقة مجديًا وذلك من

خلال مجموعة مـن النتاجات كان أبرزها كتاب الشريعـة والطبيعة ومدى تطابق أحكام الشريعـة وظواهر الطبيعة، وكتاب مواقع النجـوم وكتاب زينة الكواكب حيث تطرق فيهما إلى مواقع النجوم وكروية الأرض وغيرها من المسائل، مبينًا من خلال ذلك أن الإسـلام يدعو إلى العلم والعمل به[١٣] وسـنحاول في هذا المبحث تسليط الضوء على اصلاحات السيد هبة الدين الشرستاني.

اولا: الاصلاح الثقافي

ومن نشاطاته في هذا المجال إصداره مجلة العلم في النجف الأشرف في ٢٩ / آذار / ١٩١٠م لتكون لسان حال طلبة العلم الواعين المطالبين بالتجديد، فكانت بإدارة عبد الحسـين الأزري ورئيس تحريرها السـيد هبة الدين الشهرستاني وذكر السـيد أن الغايـة منها هي خدمة العلـم والدين والبحث في أصـول الترقي ماديًا وأدبيـاً، فـكان لها الفضل الأكبر في نـشر الأفكار والدعـوة إلى العلم بين طبقات المجتمـع العراقي في وقت كان الجهل متفشـيًا بين أبنـاء المجتمع في كثير من المدن العراقيـة، وبذلك تعد مجلة العلم علامة مضيئة في تاريخ الصحافة العراقية لما فيها مـن مواضيع مهمة تناسـب الواقع آنذاك وتعالج مشـكلاته، فكانت بحق عاملًا مهمًا من عوامل النهضة في العصر الحديث[١٤].

ثانيا: الاصلاح الاجتماعي

كان للشهرسـتاني مواقف مشرفـة في الدفاع عن الإسـلام وخاصة ما يتعلق بقضيـة المرأة من حيث الحقوق والواجبات، فانـبرى مجموعة من الكتّاب العرب والعراقيـين إلى القول بحقـوق المرأة والمطالبة بها، ولكن أيـة حقوق؟ فقد طالبوا المـرأة بأن تتحرر من العفة والحياء من خلال دعوتهـا إلى ترك الحجاب و الخروج

للعمـل مع الرجال في جميع مجالات الحياة و زعموا أن ذلك تقدم وأن السـبب في تقدم الغرب على العرب هو ترك الحجاب بالنسبة للمرأة[١٥].

فتعالت الصيحات المناصرة لهذا الفكر المتهالك، فرأى الشهرسـتاني وجوب التصدي لهكذا هجمات شرسة القصد منها هو النيل من الإسلام وتعاليمه، فعمد إلى كل ما من شـأنه أن يكون ثغرة يستغلها المنحرفون فأغلقها عليهم، فأوضح ما التبـس على النـاس في هذا المضمار(مضمار المرأة وحقوقهـا) من خلال مقال نشره في مجلته(مجلـة العلم) باسـم كاتـب من كربلاء وتحـت عنوان(المرأة والإسـلام) مستعرضا فيه مجموعة من النقاط أهمها[١٦]:

١- مسألة الطلاق بيد الرجل.

٢- مسألة الإرث نصف الرجل.

٣- مسألة الشهادة نصف الرجل.

٤- تعدد الزيجات(للرجل أربعة، والمرأة فقط لزوجها).

وغيرها من النقاط المتعلقة بطبيعة الرجل والمرأة في الإسـلام وأرجعها جميعًا إلى الاختـلاف التكويني والفسـيولوجي بـين الرجل والمـرأة وأن القضية علمية بحتـة وليس في هذا الاختلاف إجحـاف بحق المرأة بل هو يتناسـب مع طبيعتها التكوينيـة، وأن ما طرحه الإسـلام من أحكام بحق المرأة الغايـة منها هو حفظها والحرص عليها وليس لنقص فيها[١٧].

كما بين أن الإسلام لا يعارض تعليم المرأة وعملها في مجالات الحياة المختلفة ولكن في حدود الشرع، فلا ربط بين التعليم والسفور، ولا ربط بين الحجاب والجهل[١٨]، فالإسلام حث على طلب العلم لكلا الجنسين، ولم يحدد ذلك بجنس

معين، وذكر السيد ما نصه: (**إن الحجاب العربي الإسلامي لا يمنع من العلم والتعلم أبداً، كما أنه لا يمنع من العمل والتعامل والدخول في المعامل والمزارع والأعمال أصلاً**)[١٩].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الهجمة العلمانية الشرسة على الإسلام لم تقتصر على العراق فحسب بل شملت مجموعة من الأقطار العربية منها سوريا مصر وغيرها، فكان هناك مجموعة من الرجال المخلصين والمفكرين المبرزين الذين تواصلوا ونهضوا مع السيد هبة الدين من أجل الوقوف بوجه المحتل وخططه لتهديم الدين ومن أبرزهم: محمد عبده والسيد رشيد رضا والشيخ عبد العزيز جاويش والشيخ طنطاوي وأصحاب مجلتي الهلال والمقتطف، حتى وصف السيد هبة الدين اشتغاله في حركة التجديد الديني في النجف الأشرف بأنه كان « النهوض الأول في حياته»[٢٠].

ثالثاً: الإصلاح الفكري

كان للشهرستاني علاقات وثيقة مع دار التقريب بين المذاهب الإسلامية في القاهرة، وكانت مجلة(رسالة الإسلام) تنشر مقالاته حول قضايا التقريب والوحدة الإسلامية، بالإضافة إلى ارتباطه بعلاقات صداقة مع الكثير من علماء السنة، وتؤكد مراسلاته معهم مدى الانفتاح الفكري الذي يمتاز به السيد الشهرستاني، وتكشف إيمانه الراسخ بضرورة الانسجام والتعاون بين علماء الأمة الإسلامية[٢١].

فكان وبحق عالمًا عاملًا ومجددًا ومدافعًا عن الإسلام في وقت حاول البعض فيه اتهام الإسلام بالتخلف والرجعية إلا أن السيد هبة الدين استخدم أسلوبًا

عصريًا في خطاباته آنذاك للدفاع عن أهدافه ومبادئه فأخذ يحاور الناس بطريقة جديدة كانت سببًا في الحد من الهجمة الغربية على الدين و استقطاب الناس إليه.

ومما يميز السيد هبة الدين ودعوته الإصلاحية عن غيره من العلماء المعاصرين له هو همته العالية لنشر الدين حتى أنه سافر إلى بلدان متعددة طمعًا في نشر تعاليم الإسلام على أوسع نطاق ممكن فكان يبث علومه في كل مدينة يمر بها ويجد من يسمعه ويستجيب لدعواه ومن أبرز المناطق التي زارها في داخل العراق(الاعظمية في بغداد ومحافظة ميسان) وفي خارج العراق فقد زار البحرين وعمان و اتجه نحو الشرق حتى بلغ تخوم الهند، والتقى بشخصيات مهمة و رؤساء دول حتى سماه أبو الكلام آزاد – صاحب صحيفة الهلال الأسبوعي – جمال الدين الثاني[٢٢].

وقد أسس خلال أسفاره مجموعة من المؤسسات والجمعيات التي تهتم بنشر الدين الإسلامي وتعاليمه وكان أبرزها: (جمعية خدمة الإسلام) في الأعظمية، و(الجامعة الإسلامية) في محافظة ميسان، (وجمعية الإصلاح) في البحرين، (وجمعية الاتفاق العماني) في عمان، وقد أسس في الهند مجموعة من المؤسسات منها(جمعية جنود الله) وغيرها، إلا أن قيام الحرب العالمية الأولى حال دون تأسيس هذه المؤسسات، حيث انقطعت سبل التواصل بين البلدان وأخذت الدول الكبرى تبسط نفوذها على البلدان فآلت هذه المؤسسات إلى الفناء تباعًا، ثم توجه السيد هبة الدين بعد ذلك إلى الجهاد المسلح[٢٣].

رابعًا: الإصلاح السياسي

ومن المسائل التي كانت حاضرة في ذهن السيد هبة الدين والتي ارتبطت بواقعه ارتباطًا مباشرًا هي مسألة الجهاد في سبيل الله أيام الاحتلال البريطاني

للعراق عام ١٩١٧م فكانت آراؤه واضحة في وجوب الجهاد ضد الكفار والمعتدين على الأرض والعرض فقد ذكر أنه قال: (إن الجهاد نعني به دفع العدو، ويكون على قسمين: نفسي ومالي، فمن تمكن من بذل مهجته لإحياء الإسلام فليسلك سبيل أسلافه المجاهدين، وقد فضل الله المجاهدين على القاعدين، وليس أعز نفسًا من بني الإسلام وخلفائه، ومن يعجز عن ذلك فليساعد المجاهدين بماله، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾)[٢٤].

وكان يرى أن صلاح الأمة بصلاح القائمين عليها، وإذا لم يضرب سيد الناس للناس مثلًا في التضحية والإخلاص فليس له أن يطلب منهم التضحية ولم تقف كلماته في الجهاد ببيان حكمه الشرعي فقط بل كانت له خطابات توحيدية على نطاق واسع داخليا وخارجيًا من أجل الوقوف بوجه المستعمر و استنهاض الهمم فمما ورد عنه قوله « إن موقفنا اليوم موقف هجم فيه الكفر كله على الإسلام كله، ولا يقف تجاه تيار الهجوم الغربي إلا اتحاد المسلمين.. ونحن من صميم القلب نبتهل إلى الله أن يمن علينا باتفاق المسلمين من الرؤساء والمرؤوسين، إذ ليس تأخرنا اليوم إلا من تقاعدنا أمس، ونرجو أن تؤثر في القاعدين منا اليوم حركة العالم الإسلامي، عسى أن نسترجع سالف عزّنا، ولا تتطاير أوطاننا الإسلامية أكثر من هذا... فإلى متى لا نتفق؟ [٢٥]

«فكان نتيجة جهاده أن اعتقل وسجن لمدة تسعة أشهر ثم أطلق سراحه هو ومن معه بعفو عام من الحاكم الإنكليزي جورج الخامس في عام ١٣٣٩هـ[٢٦].

فليت شعري كم نحن اليوم بحاجة ماسة لمثل هذه الكلمات التي من شأنها أن تداوي جراح الأمة الإسلامية الممزقة إلى جماعات مختلفة لم تكتف بالاختلاف بل أخذ بعضها يأكل بعضًا قتلًا وسبيًا وتشريدًا.

ولم يتوقف الجهاد الفكري لدى السيد هبة الدين عند حدٍّ معين حتى بلغ به مكانه المناسب ومحله الذي يستحقه بعد انتهاء الثورة ضد البريطانيين، ففي عام ١٩٢١م تم اختيار السيد هبة الدين وزيرا للمعارف في الدولة العراقية الجديدة وقد وافق على ذلك بعد أن حثه مجموعة من العلماء ورأى أن هذا المنصب من شأنه أن يسمح له بتقديم خدمات جليلة للفكر الإسلامي و بناء جيل واعٍ بعيدا عن الغزو الفكري الذي جاء به المستعمر، فسرعان ما قدم مجموعة من الجوانب الإصلاحية للمنظومة المعرفية والعلمية والفكرية في العراق وذلك من خلال نقاط عدة أبرزها:

١- إحلال اللغة العربية محل اللغة الإنكليزية بعد أن كانت هي اللغة المستعملة في المخاطبات الرسمية.

٢- تشكيل مجالس المعارف لتكون حلقة وصل بين الوزارة والمجتمع.

٣- تحديد النفوذ البريطاني في وزارة المعارف والتخلي عن كل أشكال الاستعانة بالموظفين البريطانيين.

٤- التوسع في نطاق التعليم من خلال فتح مدارس في مناطق متعددة تشمل القرى والأرياف وتكثير عدد المعلمين وتفعيل دورهم في التعليم بكل مستوياته.

٥- تفعيل البعثات العلمية من خلال إرسال مجموعة من الطلبة الراغبين في التعلم ونقل الخبرات من البلدان الأخرى[٢٧].

المبحث الثالث

شذرات من مواقف السيد هبة الدين الاصلاحية

ومن الجدير بالذكر أن من يمر بدراسة سيرة عطرة وزاخرة بالعلم والعمل والعطاء فعليه أن يأخذ منها ما ينفعه في حياته وهذه هي الحكمة من دراسة التاريخ سواء أكان تاريخ أمم أم تاريخ أفراد وكما ورد في قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ...﴾[٢٨].

ومن هذا المنطلق وبعد استقراء حياة أحد فحول العلم والمعرفة في عصورنا المتأخرة ألا وهو السيد هبة الدين فحري بنا أن نستقي من عطائه الجزيل ما يعيننا في حياتنا وبناء مستقبلنا بأفضل ما يكون.

ولعلنا إذا نظرنا إلى حياة السيد بصورة مجملة نجدها تزخر بالعطاء منذ نعومة أظفاره فإذا نظرنا إلى طفولته وجدناه بدأ مسيرته العلمية منذ سنته الخامسة بطموحٍ عالٍ نتعلم منه كيفية الانطلاق بقوة وطموح من أجل تحقيق رسالة نبيلة وهدف سامٍ والاستمرار بجد واجتهاد من أجل ذلك، فسرعان ما تقدم في دراسته فدرس أصول الفقه وعلوم الشريعة في سن الثامنة واستمر بالدراسة والسفر من مدينة إلى أخرى من أجل تحصيل العلم فقد ضحى بكل وقته وجهده وماله من أجل غايته السامية وهي تحصيل العلوم التي يدافع بها عن الدين الإسلامي، وما ذلك إلا درس مهم وخارطة طريق رسمها السيد للأجيال اللاحقة لكي تحقق أهدافها المنشودة[٢٩].

ومن أهم الأهداف التي سعى لتحقيقها السيد هو الدفاع عن الدين ضد التوجهات الأخرى فقد استثمر جهوده العلمية والعملية في نصرة الدين

الإسـلامي ووقف لتصحيح الكثير من الأفكار وهذا ما نلاحظه بوضوح في حياة السـيد رحمه الله فقد سـعى إلى الدفاع عن الديـن من خلال نشر خطابـات ومقالات لتحريك الشـباب الواعي للقراءة والمطالعة و فهم الصورة الحقيقية التي تثار على الدين فأصدر مجلة العلم لنشر كلماته الراقية، ولم تقتصر على الأبحاث الدينية فقط بل كانت مجلة عامة شاملة لنشر كثير من البحوث والمقالات في العلوم المختلفة[٣٠].

ويتضح ذلك في دفاعه عن المرأة عندما اتهمت المرأة المسلمة بالتخلف و سلب الحقـوق فأجاب عن كل المسـائل التـي طرحت في حق المرأة ببيـان واضح حول مكانـة المرأة في الإسـلام وحقوقها وواجباتها من خلال مجموعـة من النقاط التي ظـن البعض أن فيها إجحافًا للمرأة لكنه أثبت العكس بأسـلوب يتسـم بالعلمية والأدب[٣١].

ومن الدروس التي يمكن أن نسـتلهمها من حياة السيد هبة الدين هو موقفه الوحدوي و حبه للمسـلمين في كل البلدان، فقد عرف عنه حرصه على المسلمين كافـة في أي بلد كانوا فهو ينظر لهم بعين الأخوة، فلم يكن يدعو للوحدة بين أبناء جلدته ومذهبه فحسب بل كان له موقف مع كل البلاد التي تتعرض لظلم المحتل ومواقفـه معروفـة في هذا المجال فكان يتواصل ويبعث برسـائل إلى الأشـخاص الذيـن يمثلون خـط النهضة في البلـدان الأخرى ليقدم دعمـه المعنوي لهم، وكما أشرنا سـلفًا بخصوص مراسـلاته مع محمد عبده ورشـيد رضا وغيرهم، إضافة لمـا تقدم فهناك درس مهـم من حياته المباركة ألا وهو جهاده المسـلح ضد المحتل وذلك بعد أن بين موقفه من المحتل نظريًا وأوضح معنى الجهاد الحقيقي للناس في سبيل الله والوطن والعرض وعلى المستويين النفسي والمالي، بعد كل ذلك التحق في صفوف المقاتلين ليسـجل موقفًا مشرفًا أمام الله تعالى وأمام الوطن والناس خشية

أن يظن أحد أنه ينظّر فقط بل كان السيد رحمه الله نظرية وتطبيقًا، ومن ذلك نتعلم أن الجهاد ليس قتالًا فقط بل هو دين محض أي نظرية وتطبيق[٣٢].

ولم يكن السيد رحمه الله مجاهدًا بالمعنى الضيق أو ما يعرف بالجهاد الأصغر وهو حمل السلاح بل كان مجاهدًا بالجهاد الأكبر كما أسماه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ألا وهو جهاد النفس ضد المغريات التي يمكن أن تقعد بالإنسان عن نصرة دينه، وهذا ما تعرض له السيد هبة الدين بعد الثورة حيث ارتأت الحكومة أن تمنحه منصب وزير المعارف لعله ينشغل بالمنصب والمال ويسكت عن جهاده وعن المستعمرين، إلا أنه أبى إلا أن يستمر في بناء بلده والمجتمع وكما يريد الله تعالى لا كما يريد الناس[٣٣].

فبدلًا من أن يتواطأ مع المحتل عمد إلى ضرب قواعدهم التأسيسية من جذورها فأول خطواته المباركة في وزارة المعارف هو تغيير اللغة في المخاطبات الرسمية من الإنكليزية إلى العربية وكذلك في المدارس عمد إلى جعل لغة التعليم هي اللغة العربية في خطوة لإحياء اللغة العربية التي هي لغة القرآن الكريم[٣٤].

وكذلك أمر بزيادة عدد المدارس في البلاد بحيث تشمل حتى القرى والأرياف بعد أن كانت مقتصرة على مراكز المدن فحسب، في خطوة مهمة لنشر العلم والمعرفة والوعي بين الناس وهذا ما كان يأباه المحتل حتى أنهم وضعوا له مستشارًا بريطانيًا وموظفين بريطانيين لكي يسيطروا على عمل الوزارة إلا أن السيد جردهم من الصلاحيات المهمة في اتخاذ القرارات التي تكون في صالح الشعب، لذا كان كثيرا ما يتقاطع في عمله مع المستشار البريطاني بسبب اختلاف الرؤى، وليس ذلك فقط بل عمل على إرسال البعثات إلى خارج العراق طمعًا في

نقل الخبرات[٣٥]، وما ذلك إلا للحس الوطني الذي كان يحمله لبناء بلده بشكل صحيح و تأدية ً لتكليفه الشرعي أمام الله تعالى وإخلاصًا لأبناء بلده.

الخاتمة

١. كان السيد هبة الدين الشهرستاني مفكرا متنورا، بدأ مسيرته العلمية منذ نعومة أظفاره، وصلت مؤلفاته الى ما يقارب مائة وأربعة وثلاثين مؤلفًا في علوم مختلفة كان من أشهرها كتاب الهيئة والإسلام الذي ترجم إلى لغات متعددة.

٢. كان الشهرستاني من بين الشخصيات المهمة والبارزة التي نهضت للدفاع عن الإسلام، إذ وقف بكل جهوده العلمية والعقلية والعقائدية والأدبية لصد الهجمة التي بدأت تنخر جسد الأمة فلم يدخر جهدًا إلا وسخره في الدفاع عن الإسلام فعمد إلى تأليف مجموعة من الكتب التي توضح حقيقة الإسلام الأصيل وكتب مقالات متعددة وأخذ ينشر علومه بين الناس بأسلوب عقلي متميز بين من خلالها تفاهة الأفكار الإلحادية والعلمانية من جهة ومن جهة أخرى بين قوة الفكر الإسلامي ومصادره التي يستند إليها وحقيقة ارتباطها بالله تبارك وتعالى، كما بين أن الإسلام لا يعارض تعليم المرأة وعملها في مجالات الحياة المختلفة ولكن في حدود الشرع.

٣. كانت له علاقات وثيقة مع دار التقريب بين المذاهب الإسلامية وكانت له خطابات توحيدية على نطاق واسع داخليًا وخارجيًا من أجل الوقوف بوجه المستعمر.

الهوامش

١. خير الدين الزركلي، الاعلام، ج٦، ط٤، بيروت، ١٩٧٩، ص ٣٠٩.

٢. أشارت أغلب كتب التراجم التي تناولت ترجمة السيد هبة الدين الى الأسرة المعروفة في كربلاء بآل الامير السيد علي الكبير المتوفى في أوائل المائة الثانية عشرة من الهجرة وعمل أفراد هذه الأسرة في تدريس العلوم الدينية وممارسة الوظائف الروحية، للمزيد ينظر: محمد باقر احمد البهادلي، السيد هبة الدين الشهرستاني آثاره الفكرية ومواقفه السياسية، مؤسسة الفكر الاسلامي، ١٩٦٧، ص٢٥؛ سلمان هادي آل طعمة، أعلام من كربلاء(السيد هبة الدين الحسيني)، مجلة ينابيع، العدد(٢٣)، ربيع الاول –ربيع الثاني، ١٤٢٩، ص٨٤.

٣. محمد مهدي العلوي، نابغة العراق أو هبة الدين الشهرستاني، بغداد، ١٩٢٩، ص٦.

٤. ينظر: هبة الدين الحسيني الشهرستاني، رسالة الغدير، دراسة وتحقيق: الشيخ عماد الكاظمي، ص١٤.

٥. آغا برزك الطهراني، الذريعة الى تصانيف الشيعة، ج١٢، ص٩٤.

٦. حيدر نزار السيد سلمان، السيد هبة الدين الشهرستاني وجرأة الدعوة والتجديد، مجلة المدى، العدد(٣٩٣٨)، السنة الرابعة عشرة، ١ حزيران ٢٠١٧، ص٦.

٧. اغا برزك الطهراني، المصدر السابق، ج١، ص١٤١٤.

٨. عماد الكاظمي، الدور الرسالي للصحافة النجفية في نشر الثقافة الاسلامية، مجلة العلم أنموذجا، منشورات معالم الفكر، بغداد، ٢٠١٥، ص٢٦.

٩. ينظر البهادلي: المصدر السابق، ص٥٤–٧٠.

١٠. إجازة الحديث، إجازة السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني الى الشيخ اغا برزك الطهراني، دراسة وتحقيق: الشيخ الدكتور عماد الكاظمي، مجلة الخزانة، العدد الثاني، السنة الاولى، ٢٠١٧، العتبة العباسية المقدسة، ص٢٣٨.

١١. هبة الدين الشهرستاني، فيصل الدلائل في أجوبة المسائل أجوبة مسائل سلطان عمان فيصل بن تركي(سنة ١٩١٢)، تحقيق، محمد سعيد الطريحي، ص ٥٦–٥٧.

١٢. غسان العطية، العراق نشأة الدولة ١٩٠٨–١٩٢١، لندن، ١٩٨٨، ص١٢٦.

١٣. السيد عبد الستار الحسني، المصدر السابق، ص ٢٢٨-٢٣١.
١٤. عماد الكاظمي، المصدر السابق، ١٠-١٤.
١٥. المصدر نفسه.
١٦. محمد باقر أحمد البهادلي، المصدر السابق، ١١٧.
١٧. هبة الدين الشهرستاني، خطابه في تهديد الحاكمين بكفر المسلمين، بغداد ١٣٢٨، ص٥٠.
١٨. محمد باقر أحمد البهادلي، المصدر السابق، ١١٨.
١٩. علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج٣، ص ١٠.
٢٠. هادي خسرو شاهي، العلامة هبة الدين الشهرستاني رائد التقريب والجهاد والفكر، رسالة التقريب، العدد(٧٩).
٢١. المصدر نفسه.
٢٢. محمد باقر أحمد البهادلي، المصدر السابق، ١١٨.
٢٣. المصدر نفسه.
٢٤. المصدر نفسه، ص ١١١.
٢٥. محمد باقر أحمد البهادلي، المصدر السابق، ١٣٩-١٤٠.
٢٦. السيد عبد الستار الحسني، المصدر السابق، ص ٢١-٢٥.
٢٧. سورة الصف، الايات ١٠-١١.
٢٨. محمد باقر أحمد البهادلي، المصدر السابق، ص ١٤٠؛ محمد علي الحوماني، من يسمع، القاهرة، ١٩٥١، ص٣٣.
٢٩. محمد باقر أحمد البهادلي، المصدر السابق، ص ١٤٠.
٣٠. سورة غافر: الآية ٨٢.
٣١. محمد باقر أحمد البهادلي، المصدر السابق، ص ٩٥.
٣٢. عماد الكاظمي، المصدر السابق، ص ٨٧.
٣٣. محمد باقر أحمد البهادلي، المصدر السابق، ص ٩٩.
٣٤. السيد عبد الستار الحسني، المصدر السابق، ص٩٩.
٣٥. حيدر نزار السيد سلمان، المصدر السابق، ص ٦.

المصادر و المراجع

أولًا: القران الكريم

ثانيًا: الكتب

١. آغا بزرك الطهراني، الذريعة الى تصانيف الشيعة، دار الأضواء، بيروت ط٣، ١٩٨٣م.

٢. خير الدين الزركلي، الاعلام، ج٦، ط٤، بيروت، ١٩٧٩.

٣. علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج٣.

٤. عماد الكاظمي، الدور الرسالي للصحافة النجفية في نشر الثقافة الإسلامية، مجلة العلم انموذجا، منشورات معالم الفكر، بغداد، ٢٠١٥.

٥. غسان العطية، العراق نشأة الدولة ١٩٠٨-١٩٢١، لندن، ١٩٨٨.

٦. محمد باقر أحمد البهادلي، السيد هبة الدين الشهرستاني آثاره الفكرية ومواقفه السياسية، مؤسسة الفكر الإسلامي، ١٩٦٧.

٧. محمد مهدي العلوي، نابغة العراق أو هبة الدين الشهرستاني، بغداد، ١٩٢٩.

٨. هادي خسرو شاهي، العلامة هبة الدين الشهرستاني رائد التقريب والجهاد والفكر، رسالة التقريب، العدد(٧٩).

٩. هبة الدين الحسيني الشهرستاني، رسالة الغدير، دراسة وتحقيق: الشيخ عماد الكاظمي.

١٠. هبة الدين الشهرستاني، خطابه في تهديد الحاكمين بكفر المسلمين، بغداد ١٣٢٨.

١١. هبة الدين الشهرستاني، فيصل الدلائل في أجوبة المسائل أجوبة مسائل سلطان عمان فيصل بن تركي(سنة ١٩١٢)، تحقيق، محمد سعيد الطريحي.

ثالثا: المجلات

١. الخزانة، العدد الثاني، السنة الاولى، ٢٠١٧، العتبة العباسية المقدسة.

٢. المدى، العدد(٣٩٣٨)، السنة الرابعة عشرة، ١ حزيران ٢٠١٧

٣. ينابيع، العدد(٢٣)، ربيع الاول –ربيع الثاني، ١٤٢٩.

تحقيق التراث